◆ أولاً: المفهوم العام

المجتمع الشبكي هو **نموذج اجتماعي جديد** تشكّل بفعل الثورة الرقمية، حيث أصبحت **الشبكات المعلوماتية والاتصالية** (كالإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، وشبكات البيانات العالمية) هي البنية التحتية التي تنظّم الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والتفاعل الإنساني في المجتمعات المعاصرة.

إنه مجتمع **تتحدّد فيه السلطة والقيمة والمعرفة من خلال التدفق الشبكي للمعلومات**، لا من خلال الموقع الجغرافي أو الانتماء الطبقي أو المؤسسة التقليدية.

◆ ثانيًا: الجذور التاريخية والتطور المفاهيمي

1. **المرحلة الصناعية (القرنان 18 و19):**

كانت البنية الاجتماعية تقوم على المصنع، والدولة القومية، والتراتبية الطبقية. كان رأس المال المادي هو المحرّك الأساسي للتنمية.

2. **المرحلة ما بعد الصناعية (منتصف القرن 20):**

مع دانيال بيل (Daniel Bell) ظهرت فكرة "المجتمع ما بعد الصناعي"، الذي يتحول فيه محور الاقتصاد من الصناعة إلى المعرفة والخدمات.

⟵هذه كانت الأرضية النظرية الأولى لظهور "المجتمع المعلوماتي."

3. **المرحلة المعلوماتية (السبعينيات والثمانينيات):**

تطوّرت شبكات الحواسيب والاتصالات الساتلية، وبدأت تظهر مفاهيم مثل "الثورة التكنولوجية الثالثة (Alvin Toffler)" و"اقتصاد المعلومات."

4. **مرحلة المجتمع الشبكي (التسعينيات إلى اليوم):**

مع انتشار الإنترنت والاتصال الفوري والذكاء الاصطناعي، صاغ المفكر الإسباني **مانويل كاستيلز (Manuel Castells)** المفهوم العلمي الدقيق لـ«المجتمع الشبكي» في عمله الضخم **"عصر المعلومات: الاقتصاد، المجتمع، والثقافة"** (1996).

يرى كاستيلز أن التحول البنيوي الذي نعيشه لا يتعلق فقط بالتكنولوجيا، بل بـ **منطق جديد للتنظيم الاجتماعي** يعتمد على الشبكات، لا على التسلسل الهرمي.

◆ ثالثًا: تعريفات أساسية للمجتمع الشبكي

1. **مانويل كاستيلز:**

"هو المجتمع الذي تُنظَّم بنياته الأساسية (الاقتصادية والسياسية والثقافية) حول شبكات المعلومات المدعومة بتكنولوجيات الاتصال الجديدة".

2. **يان فان ديك:(Jan van Dijk)**

"المجتمع الذي تشكل فيه الشبكات الرقمية الوسيط الأساسي للتفاعل الاجتماعي، والمؤسسة الرئيسية لتنظيم الحياة العامة والخاصة".

3. **فر انسيس كاردي:(Barry Wellman & Caroline Haythornthwaite)**

"هو مجتمع من العلاقات المتصلة عبر وسائط رقمية، حيث يصبح الفرد محور شبكة متعددة الروابط لا يحدها المكان ولا الزمن".

4. **تعريف سوسيولوجي جامع:**

المجتمع الشبكي هو **نمط اجتماعي جديد** يقوم على **التر ابط الفوري والعالمي** بين الأفراد والمؤسسات عبر شبكات رقمية تتيح إنتاج المعرفة وتداولها بسرعة هائلة، وتعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية على أساس الاتصال المستمر لا المركزية.

◆ رابعًا: الخصائص الجوهرية للمجتمع الشبكي

1. **اللامركزية :**لم تعد السلطة أو المعرفة أو القرار تتركز في المؤسسات، بل تتوزع عبر عقد شبكية متعددة.
2. **التفاعلية الفورية :**الأفراد متصلون باستمرار، مما يولّد ثقافة المشاركة والانتشار اللحظي للمعلومة.
3. **الزمن المرن :**اختفى الفرق بين الليل والنهار في دورة العمل والاتصال.
4. **الفضاء الافتراضي :**لم يعد "المكان" شرطًا للتفاعل، بل "الوصلة" هي الأساس.(Connection instead of location)
5. **الهوية الشبكية :**أصبح للفرد "ذات رقمية" تتفاعل ضمن فضاء رقمي، تشكّل جزءًا من شخصيته الاجتماعية.
6. **الاقتصاد الشبكي :**تتحكم المعلومة والمعرفة في الإنتاج، مما يولّد ما يُعرف بـ"رأس المال المعرفي."
7. **السياسة الشبكية :**تتراجع الوساطة الحزبية والبيروقراطية أمام الحركات الرقمية والفضاءات العمومية الافتراضية.

◆ خامسًا: السياقات الاجتماعية للتحول نحو المجتمع الشبكي

1. **العولمة :**انفتاح الأسواق والثقافات ضمن فضاء واحد مترابط.
2. **الثورة الرقمية :**تحوّل الإنترنت من أداة تقنية إلى بيئة اجتماعية.
3. **تحوّل أنماط العمل :**ظهور العمل عن بُعد، والاقتصاد الرقمي، ومنصات الخدمات.
4. **التغيّر الثقافي :**الفردانية الرقمية، وثقافة المشاركة، ومجتمعات "الترند."
5. **تحولات السلطة :**من الدولة إلى الشبكات (شركات التكنولوجيا الكبرى، المنصات الاجتماعية).

◆ سادسًا: المجتمع الشبكي من منظور سوسيولوجي

من الناحية السوسيولوجية، يمثل المجتمع الشبكي **مرحلة جديدة من الحداثة المتأخرة**، حيث تعاد صياغة البنية الاجتماعية على أساس **التواصل بدل الإنتاج، والمعرفة بدل السلطة، والشبكة بدل الطبقة**.
يُنظر إليه كمجتمع **يتسم بالسيولة(Bauman)** ، إذ لم تعد العلاقات ثابتة، بل تتغير بسرعة تبعًا للاتصال الشبكي.
كما أنه مجتمع **يعيد توزيع رأس المال الرمزي والمعرفي** بطرق غير متكافئة، مما يخلق أشكالًا جديدة من التفاوت، مثل **الفجوة الرقمية** بين من يملك الاتصال ومن لا يملكه.

◆ سابعًا: أهم الانتقادات الموجهة للمجتمع الشبكي

1. **هيمنة الشركات الرقمية الكبرى (Google, Meta, Amazon...)** على تدفقات المعلومة.
2. **الاغتراب الرقمي** :حيث يعيش الفرد داخل فقاعة معلوماتية مغلقة.
3. **تآكل الخصوصية** :تحوّل المستخدم إلى "منتَج" تُباع بياناته.
4. **العنف الرمزي الجديد** :من خلال خطاب الكراهية والتحريض الإلكتروني.
5. **التفاوت الرقمي** :عدم تكافؤ الوصول إلى التكنولوجيا بين الطبقات والمناطق.

◆ ثامنًا: نحو تعريف تركيبي شامل

يمكن تلخيص مفهوم **المجتمع الشبكي** بأنه:

"مرحلة تاريخية جديدة من تطور المجتمعات الحديثة، تُعاد فيها صياغة البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية على أساس الشبكات الرقمية، حيث يصبح الاتصال هو النواة التنظيمية للحياة الاجتماعية، والمعرفة هي رأس المال الأهم، والفرد هو العقدة المركزية في فضاء عالمي مترابط يتجاوز الحدود الجغرافية والزمنية".

المجتمع الشبكي هو **ذلك النمط الجديد من المجتمعات** الذي يعتمد في تنظيمه وحياته اليومية على **شبكات الاتصال والمعلومات الرقمية** مثل الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، بحيث تصبح التكنولوجيا هي الوسيط الرئيسي في العمل، والتعلم، والعلاقات، وحتى في السياسة والثقافة.

◆ بمعنى آخر:

هو المجتمع الذي ترتبط فيه الناس والمؤسسات عبر شبكات رقمية، فيتبادلون المعلومات والمعرفة بسرعة كبيرة، ويعيشون في عالم مترابط لا تحدّه المسافات ولا الزمن.

🔹 **أمثلة توضيحية:**

- عندما يبيع شخص منتجاته عبر "الفايسبوك" أو "إنستغرام" بدل السوق التقليدي، فهذا جزء من المجتمع الشبكي.
- عندما تتابع الأخبار أو تتعلم عبر الإنترنت، فأنت تمارس فعلًا من أفعال المجتمع الشبكي.
- عندما تنتشر حملة تضامن أو احتجاج إلكتروني في دقائق عبر تويتر، فهذه دينامية شبكية تعكس قوة الترابط الاتصالي.

🔹 **باختصار:**

المجتمع الشبكي هو **مجتمع الترابط الرقمي** الذي حوّل التواصل إلى نمط حياة، وجعل التكنولوجيا أساس كل علاقة إنسانية أو اقتصادية أو ثقافية.

المحور الثالث: أدوات التواصل الجديدة وديناميات التفاعل الاجتماعي

1. من الإعلام الجماهيري إلى الإعلام الشبكي

الإعلام الجماهيري (Mass Media) كان يوجّه الخطاب من الأعلى إلى الأسفل، بينما في الإعلام الشبكي، أصبح الاتصال **أفقيًا** (Peer-to-peer).

المستخدمون اليوم ينتجون الأخبار بأنفسهم، ويشاركون في صناعة السرديات الاجتماعية.

يقول مارشال ماكلوهان: "الوسيلة هي الرسالة" — أي أن طريقة التواصل نفسها تغيّر مضمون الرسالة وطبيعة المجتمع.

2. شبكات التواصل كمجال اجتماعي

تطبيقات مثل فيسبوك، إكس (تويتر سابقًا)، تيك توك، إنستغرام، ليست مجرد أدوات تقنية، بل هي **فضاءات اجتماعية** لها قوانينها وأنماط سلوكها.

يظهر فيها ما يسميه **بيير بورديو** بـ"رأس المال الرمزي": عدد المتابعين، الإعجابات، التعليقات، التي أصبحت مؤشرات على المكانة الاجتماعية الرقمية.

هذه المنصات تعيد توزيع السلطة الرمزية وتخلق ما يمكن تسميته بـ**الهيمنة الافتراضية**.

3. التحول من التواصل الواقعي إلى التفاعل الافتراضي

الاتصال الشبكي نقل العلاقات الاجتماعية إلى الفضاء الرقمي، حيث يتفاعل الأفراد دون حضور جسدي.

ورغم ما يمنحه ذلك من حرية، إلا أنه أدى إلى **ضعف الروابط الاجتماعية التقليدية**، وتزايد العزلة الرقمية.

يُشير عالم الاجتماع الفرنسي **دومينيك وولتون** إلى أن "كثرة وسائل الاتصال لا تعني زيادة الفهم، بل قد تعني تضخم سوء الفهم."

4.الخوارزميات كفاعلين اجتماعيين

لم يعد التفاعل في الشبكات من صنع الإنسان وحده، بل أصبح **خاضعًا لمنطق الخوارزميات** التي تحدد ما نراه وما لا نراه.

هذه الخوارزميات تُعيد تشكيل الرأي العام، وتخلق ما يُسمى بـ"فقاعات الترشيح.(Filter Bubbles) "

وهنا يظهر **العنف الرمزي الجديد** الذي تحدّث عنه بورديو، لكن في صيغة رقمية، حيث تُملي التقنية من يتكلم ومن يُسكت.

⚙️ **المحور الرابع: الأبعاد الاقتصادية والسياسية للتحول الاتصالي**

1.اقتصاد الانتباه

لم تعد الثروة تُقاس بالإنتاج المادي، بل بقدرة الفاعلين على **جذب الانتباه**.

أصبح المستخدم نفسه سلعةً، حيث تُباع بياناته، وتُستغل سلوكياته في الإعلانات والسياسة.

هذا ما يسمّيه **شوشانا زوبوف** بـ"رأسمالية المراقبة.(Surveillance Capitalism) "

2.الاتصال كسلطة

التحكم في شبكات الاتصال يعني التحكم في تدفق المعنى.

المنصات الكبرى (ميتا، غوغل، إكس) تمارس **هيمنة رمزية عالمية** تعيد إنتاج أنماط التفكير والسلوك، وتؤثر في الانتخابات والحروب والرأي العام.

3.الاتصال والمقاومة

لكن الشبكات أيضًا فتحت مجالات جديدة للتعبئة والاحتجاج، مثل "الربيع العربي" أو الحركات المناهضة للعنصرية.

إنها ساحة مزدوجة :**فضاء للهيمنة وفضاء للتحرر في الوقت ذاته**.

🔎 **المحور الخامس: القراءة السوسيولوجية للتحول الاتصالي**

1.التحول البنيوي

التحول الاتصالي يعكس انتقال المجتمع من البنية الرأسية إلى البنية الشبكية، حيث لم يعد الفاعلون الاجتماعيون يُحددون بموقعهم في الهرم، بل **بعدد وصلاتهم في الشبكة**.

2.التحول المعرفي

المعرفة لم تعد تُنتج في الجامعات فقط، بل في الشبكات التفاعلية.

ظهر ما يُعرف بـ"الذكاء الجمعي (Intelligence collective) "كما سماه **بيار ليفي**، حيث يصبح الإنترنت فضاءً لتشارك المعارف وبنائها جماعيًا.

3.التحول في الذات الإنسانية

الذات اليوم تعيش بين الواقعي والافتراضي، بين الجسد والبيانات.
إنها ذات متشظية، تبحث عن الاعتراف من خلال "الإعجاب"، وعن الهوية من خلال الصورة.

🧠 الخاتمة

التحول الاتصالي في المجتمع الشبكي ليس مجرد ثورة تقنية، بل هو **تغير حضاري شامل** يعيد تعريف الإنسان في علاقته بالزمن، والمعرفة، والسلطة، والهوية.
لقد أصبحت أدوات الاتصال **أدوات لإنتاج الو اقع ذاته**، وليس فقط لنقله.
والسوسيولوجيا اليوم مدعوة لأن تُعيد بناء مفاهيمها الكلاسيكية — مثل التفاعل، الجماعة، الفضاء العمومي، والهوية — على ضوء هذا الواقع الشبكي المتحوّل.

كما قال كاستلز: "من يعيش خارج الشبكة، يعيش خارج المجتمع."